الترحيلة

كل ما يجعل الحياة رقيقه
أطفأ الليل والنهار بريقه
المجابه السمرء فى وهج الشمس ،

ونبض السواعد المعروقه
والفرؤوس المتى ترن على الصخر ،

وأكتاف صبية مشقوقه
ورنين الموال إحوال ربح
فى صدور عربانة محروقه
مد فيها الخريف أخصانه الجوف ،

وبُحَّت أنفاسها المخنوقه
فى سبيل الرغيف والظل .. عاشت
رحلة المجدب والمهجير .. مسسُوقه
يومها مثل أمسها .. ليس فيه
هدأة .. تمسح الجراح العميقه
ليس غير المساء .. يحتضن الجمع ، فتصحوا أعماقه مستفيقه
يسرد الشيخ عن صباه الحكايات ..

بقايا من الفؤاد .. سحيقه
كم تشد الفتيان للنغم الحلو ،

وتنسأبُ بالخيال .. طليقهُ
 ..وتُجبل العجوزُ في الكفِّ طرفاً
 والمصبا قلوبهن مشوقهُ

"ربما تصدق النبوءات يوماً □
 لا بما ؛ □" .. كلمة تلوح رقيقهُ
 □

ومن الجمع .. قد يهامس "قيس"
 قلب "ليلاه" .. نسمة وحديقهُ
 غير أن المغرام يَطرُق خوفاً
 من عيون في روضه .. مرشوقهُ
 ليس ينسى الجميع "قصة أشواق" .. عواءً ، ولعنة ، وحقيقهُ
 المصير المذئ ترامت إليه
 كيف بالله للرؤى أن تُطيقهُ
 "جثةً للكلاب" .. "لا تقربوها"
 "اغسلوا الفأس من دم الزنديقهُ"
 "وابحثوا عن رقيقها : أين ولي
 مزقوا صدره ، وشدو عروقهُ"

فتشوا الأفق يومها ، ثم قالوا
 "شق للبنذر البعيد .. طريقهُ"

□

هكذا يعبر المساءُ حزيناُ..
ويداهُ على القلوب الحزينةُ
مثلما كان منذ خمسين قرناً
ورعايا فرعون خلف المدينة
يرفعون الأهرام في جبهة النيل:

شموحاً، وعزةً، ورعونهُ
فإذا أقبل المساء عليهم
فتحوا صدرهم، وبيثوا شجونهُ
أصدقاءً لذلك الرمل، عاشوا
ثم صاروا حباته، وعيونهُ

* □ *

وتدور الأيامُ، والركب ماضٍ
نا وقوفٌ، نا لفتةً، نا سكينهُ
خطوات من الأسي .. مثقلات
وأحاسيس بالضلوع سجينهُ
وإذ الأفق بالغريب لهيب
كيف - يا قطرة الندى - يطفئونه ؟
يصرخ السوط في الظهور ،

وتطوى قدم الليل أرضهم .. مجنونهُ
وتشق المقناة .. القاع يدرى
كم به من جماجمٍ مدفونة !!
والمياه التي بها قطرات
من دمٍ أهرق الرجال عيونهُ
وإلى الشط ما يزال تشيد
يذكر البحرُ والفضاء رنينهُ
زاحفاً كالرياح تجتاح هولاً

واهناً كالمريض يخفى أنينه
وقَّعوه تحيةً لليالي
ومضوا في طريقتهم ينشدونه
"يا ضلال الموال في رحبة الوادي.."

متى تهتدى القلوب الطعينة!"

"إنها تحمل الحنين إلى المظلِّ،

وتشتتم في المهجير.. غصونه!"

"وعلى النار ترقب النيل يجرى
وادعاً يملأ المصفاة جبينه"

"واخضرار الحقول، والمبيد الشَّرِّ،

وعرساً مع الحصاد، وزينه"

آه يا دمة تسيل على الخدِّ،

وتنساب في المتراب سخينه

إن بالمعول القديم عطاشاً
للامانى ، وصرخة مشحونه
[]

طلع المصبح ذات يوم على المركب ..
فحيته فى الوجوه ابتسامه

عجباً .. كيف ذوب الصدا المعقود ،

وافتر عن صبا وسامه

واختفت من جبينه قسما
كن يملأه أسى وجهامه
ما لمواله الحزين .. ترامى
ضاحك الملحن ، مرسل أنغامه
وعلى صدره العريض .. رجاء
كان بالأمس للقنوط علامه
[]

آه يا نيل .. إنه جاء يبني
حلم أيامه ، ويرفع دامة

صاعداً صاعداً يباركه الله ،

فينهد كل صعب أممه

التلال الصفراء، والحجر المصون، والموجُّ: ثورة واحتدامه
فإذا ضمَّ الهجير ..

تواري خلف تعريشةٍ، وغنى غرامه

الغد المورق الخصيب ..

وبيتٌ تَلْقَطُ الحَبَّ من ثراه حمامه